٣ - العمل الميداني المكثف

نستخلص من هذه العجالة أن جمع المأثورات الشعبية عن طريق العمل الطلابي أو الجهود الفردية أو دليل الجمع الميداني ، وإن كان يفي بالغرض المنشود منه ، يفتقر من وجهة النظر المنهجية والنظرية إلى العديد من المزايا التي يمكن أن تتوفر في العمل الميداني المكثف والمتعمق الذي يركز على قضية محددة ويدرسها من أوجهها المختلفة . هذا النوع من البحث الميداني المكثف لا يستطيع القيام به إلا عالم متخصص أو فريق من العلماء ، ويتم تنفيذه على خطوات مدروسة ومحددة وفقاً لمفاهيم خاصة ومناهج متفق عليها سنناقش بعضاً منها في الصفحات التالية .

١ر٣ - الإعداد للرحلة الميدانية :

يمر البحث بعدة أطوار ، أولها : عملية التهيؤ والاستعداد عن طريق القراءة والاستفسار . فمن يود القيام ببحث ميداني يفترض فيه أولاً أن يكون على اطلاع واسع بمناهج الفلكلور ونظرياته وأجناسه كي يكون قادراً على التعرف على المادة الشعبية وتقويمها والتعامل معها بشكل موضوعي مثمر . ثم يتعين على الباحث الميداني تحديد موضوع البحث ومكانه قبل الذهاب إلى الميدان . فإذا كان البحث مثلاً يهدف إلى جمع الحكايات الشعبية في منطقة معينة فإنه في تلك الحالة يجب عليه أن يكون متضلعاً في البحوث والدراسات العلمية المتخصصة في جمع وتصنيف وتحليل الحكايات الشعبية ، وأن يعمق معرفته وخبرته في هذا الفرع من فروع الدراسات الشعبية ، كما يلزمه قراءة كل ما تقع عليه يده من كتب عن مأثورات المنطقة التي يرغب زيارتها ، وأن يكون ملماً بجميع المصادر والمراجع التي تبحث في تاريخ المنطقة وجغرافيتها وطبيعة سكانها ؛ وإذا كان أحد قد أجرى بحثاً في المنطقة يستحسن الاتصال به إن أمكن ، والتداول معه وأخذ رأيه في مختلف الأمور والإجراءات التي تتعلق بميدان البحث وموضوعه وطبيعة المنطقة وأهلها وما إلى ذلك . وإذا كان أحد

من أهل المنطقة يسكن في المدينة نفسها التي يعيش فيها الباحث يحبذ الاتصال به والتشاور معه بخصوص السكن والمواصلات وحالة الطقس في المنطقة وأحوال المجتمع هناك ، كأسماء أعيان البلد والعائلات المرموقة وغير ذلك من المعلومات التي قد يستفيد منها الباحث بشكل أو بآخر . فكل هذه الاستعدادات الأولية من شأنها أن تساعد الباحث على التكيف والتعايش مع أهل المنطقة ، وتسهل مهمته في الميدان وتخفف من حدة الحيرة والارتباك التي قد يتعرض لها في المراحل الأولية من البحث ، وتجنبه التخبط ومضيعة الوقت في مسائل ليست في صميم البحث .

ومن المؤكد أن العمل الميداني المكثف يحتاج إلى ميزانية ضخمة للإنفاق عليه بما في ذلك نفقات السفر والإعاشة وشراء المعدات اللازمة ومكافأة الإخباريين والمرشدين والمصاريف النثرية وغير ذلك . ولكي يتم تنفيذ هذا العمل على الوجه المطلوب لابد أن تتولى الصرف عليه جهة رسمية أو مؤسسة علمية . ففي بعض الحالات مثلاً تتقدم جهة رسمية إلى أحد الأقسام الأكاديمية تطلب منها المساعدة في تقصي بعض الحقائق أو دراسة بعض الظواهر ، وتتكفل بدفع المصاريف اللازمة . مثال ذلك الطلب الذي تقدمت به وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية إلى قسم الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك سعود لدراسة ظاهرة غلاء المهور . ولكن في بعض الأحيان يكون لدى الباحث مشروع بحث ويريد جهة ممولة . ففي المملكة العربية السعودية مثلاً هناك عدة جهات تقوم بهذا العبء ، أهمها : المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا . كما أن معظم الجامعات السعودية لديها مراكز بحوث موزعة على الكليات ، مهمتها تمويل أبحاث أساتذة الجامعة والإشراف عليها . وحينما يكاتب الباحث جهة معينة يطلب منها تمويل بحثه عليه أن يقدم طلباً يحدد فيه موضوع البحث ويوضح أهميته بالإضافة إلى خطوات تنفيذ البحث وكيفية إنجازه والمدة اللازمة لذلك . ولابد أن يتضمن الطلب تقريراً مفصلاً بميزانية البحث ونفقاته بنداً بنداً[٣٠] . ومثل هذه الطلبات تفحص فحصاً دقيقاً من قبل لجان مختصة ، لذلك ينبغي لصاحب الطلب أن يعتني بإعداد صيغة الطلب وأن يكون دقيقاً ومقنعاً قدر الإمكان في عرضه لأهداف البحث وأهميته وأن يكون معقولاً في تصوراته وتقديراته خصوصاً فيما يتعلق بالميزانية والتكاليف .

وبعد إنهاء هذه الإجراءات الأولية ، أو قبل ذلك بقليل يقوم الباحث بالاتصال بالجهات الرسمية والمسؤولين ليشرح لهم مهمته ، ويطلعهم على خطة البحث ، ويطلب منهم إذناً رسمياً مكتوباً للعمل في المنطقة المحددة ، ويلتمس منهم العون

وتقديم التسهيلات اللازمة التي يمكنهم تقديمها في حدود صلاحياتهم ـ ولكن ينبغي الحذر من إقحام المسؤولين في موضوع البحث الميداني إذ قد ينتج عن ذلك تعثر البحث أو صده عن وجهته الأصلية وتحويله من مشروع علمي إلى واجهة إعلامية . وبعد إشعار الجهات المسؤولة وأخذ موافقتها يحاول الباحث الاتصال بأعيان البلد والأشخاص البارزين في المنطقة التي سيجري فيها بحثه لمحاولة إقناعهم بجدوى العمل الذي ينوي القيام به وأهميته بالنسبة للمنطقة خاصة والوطن عامة من أجل أن يكسب تأييدهم وتعاونهم ومساعدتهم في التعرف على أهل المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم وأماكن تجمعهم وطرق تألفهم وكسب ثقتهم والاندماج معهم . ومن باب اللياقة والكياسة على الباحث أن يظهر احترامه وتقديره للسلطات المحلية وذوي الجاه من أهل المنطقة وأن لايستفزهم أو يزعجهم بأي شكل من الأشكال .

٢ر٣ ـ الأيام الأولى في الميدان :

لاشك أن سلوك الباحث وصلاته الاجتماعية وعلاقاته الشخصية خلال الأيام الأولى من حلوله على المنطقة التي ينوي العمل بها لها أكبر الأثر على مسار بحثه وموقف الجمهور منه وتعاونهم معه . يقول محمد محمود الجوهري وزملاؤه في كتابهم *الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية* :

> **يجب ألا يفسد الجامع العمل من بدايته بأن يبدأ بالاتصال بمجموعة من الأفراد تكون منبوذة من المجتمع المحلي الذي يشرع في دراسته . على العكس ينبغي أن يضع في المحل الأول من اهتمامه تلك الجماعة التي يعتبرها المجتمع « أفضل الناس » ويتخذ من بينهم إخباريه . . وسوف يكون من السهل بعد ذلك الاتجاه إلى أدنى في دراسة الفئات التي تكون السلم الاجتماعي ، على حين يستحيل اتخاذ الاتجاه المضاد . ومهما يكن من أمر فإنه من الخطورة على نجاح الدراسة أن يلتصق الجامع بفئة أو جماعة معينة بشكل زائد . لذا من الواجب عليه أن يوسع دائرة مخالطيه . والتعاون مع جماعات الموظفين المحليين وكسب مساعداتهم قد يكون مفيداً في هذا الصدد . وحدود هذا التعاون متروك للجامع نفسه**[٣١]

فالأشخاص الذين يستعين بهم الباحث ، والطريقة التي يلجأ إليها للدخول إلى المجتمع المحلي والتعرف على الرواة والإخباريين سيكون لها أكبر الأثر في مدى تعاون هؤلاء معه وثقتهم به ، لاسيما إذا كانت المادة التي يرغب في الحصول عليها منهم ذات حساسية اجتماعية أو سياسية أو قبلية . وإنه لمما يسهل عمل الباحث اقتناع الأشخاص المرموقين بمهمته وتبنيهم لها . وأحياناً قد تكون معرفة شخص واحد مفتاحاً يمكّن الباحث من التغلغل إلى فئات معينة وطبقات خاصة لايستطيع الباحث أن يصل إليها بأي طريق آخر . ولابأس من الإشارة بهذا الصدد إلى أن علاقتي مع مطلق بن عواد بن عيادة بن عبيكة الذي شرفت بالتعرف عليه مع بداية تنفيذ مشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية مكنتني من اكتساب ثقة الشعراء والرواة من عشيرة الرمال خصوصاً وقبيلة شمر عموماً . وعائلة العبيكة من عائلات الرمال النبيلة اشتهرت بالجود والكرم وقول الشعر ، وتحظى بالتقدير والاحترام لدى جميع أفراد قبيلة شمر . ومطلق بن عواد يسكن حي النسيم بمدينة الرياض وقد نصب أمام منزله بيتاً كبيراً من الشعر تأكيداً على أنه لم يقطع صلته بالبداوة وعادات العرب الحميدة . وإذا ما قادت الزائر أو الضيف قدماه إلى هذا البيت في أي ساعة من ساعات الليل أو النهار فإنه سيجد النار تتلظى والقهوة جاهزة والطعام ومن يقوم على خدمته . وبعد صلاة العصر يتحول هذا البيت إلى منتدى يؤمه الناس ، وخصوصاً من قبيلة شمر ، على اختلاف مشاربهم ، بمن فيهم الأمراء والشعراء والرواة . وهذا البيت هو المكان الذي يلتقي فيه الزوار من أبناء قبيلة شمر الوافدون إلى الرياض من العراق والكويت ومنطقة حائل . وهناك تعرفت على عدد من الرواة المتميزين ، مثل : خفيج بن بدهان ، وحمود بن عمران ، ورضا بن طارف وغيرهم . وحينما ذهب مطلق في صيف عام ١٤٠٣ هـ لزيارة عشيرته في قراهم القريبة من حائل ، مثل قنا وأم القلبان وجبّة والقاعد ، ذهبت معه هناك ولم يدخر وسعاً في تعريفي على الكثير من الرواة والشعراء من قبيلة شمر . وحيث إنني كنت بصحبته فقد حظيت بمساعدة الجميع وتعاونهم وكرمهم المعهود .

ونجاح البحث الميداني يعتمد بدرجة كبيرة على المهارات والكفاءات الشخصية التي يتمتع بها الباحث ، كالقدرة على استمالة الآخرين وتألفهم والتعاشر معهم وإقناعهم بجدوى العمل الذي يقوم به . ومن ضروريات العمل الميداني أن يتحلى الباحث بالرزانة والصدق والنزاهة في التعامل مع الآخرين حتى يكتسب احترامهم

وثقتهم . وعليه أن يتجنب الخداع والمحاباة والتبجح وغيرها من الأخلاق الشائنة التي تنفر الناس منه . وعليه أن يراعي إحساس الناس الذين يعمل بينهم ، وأن يحترم مشاعرهم ويتجنب التصرفات التي تثير اشمئزازهم . ولابد أن يكون لدى الباحث معيناً لا ينضب من الصبر والحلم والأناة والقدرة على التحمل حتى لاينفر الناس حيث إن مهمته تحتم عليه أن يكسب ودهم وتعاطفهم .

ومن الضروري ألا يغيب عن ذهن الباحث أن مهمته الأساسية في الميدان هي التعرف على الرواة والإخباريين المتميزين في المنطقة ، وتسجيل ما لديهم من مأثورات شعبية . فحينما يعمه أعيان المنطقة بلطفهم وكرمهم وزياراتهم يجب ألا ينجرف معهم وينصرف عن الغرض الأساسي الذي جاء من أجله ، أو أن يغير من مجرى بحثه إلى مواضيع أخرى هو غير مؤهل لدراستها ، أو ليست ذات فائدة عملية ملموسة . وإذا كانت الفترة التي سيقضيها الباحث في الميدان وجيزة فإن الدعوات المتكررة قد تحول دون قيامه بالعمل الميداني على الوجه الأكمل . فحينما قمت بزيارة منطقة حائل في صيف عام ١٤٠٣ هـ لجمع الشعر النبطي وجدت أن الكرم التقليدي الذي يتميز به أهل المنطقة كان في كثير من المناسبات عائقاً دون إنجاز مهمتي كباحث حيث يستحيل استجواب الإخباريين وتسجيل ما لديهم من قصص وأشعار في مجلس صاخب يضم عشرات الضيوف . وحتى حينما أبدأ التسجيل تحت هذه الظروف فإنه بين الفينة والفينة يفد ضيوف جدد مما يحتم إطفاء جهاز التسجيل لنهب قائمين ونحيي القادمين . وهذا بالطبع لايعني عدم تشجيع الباحث على قبول الدعوات الشخصية والمشاركة في المناسبات الاجتماعية ، بل على العكس ، فهذه الدعوات والمناسبات من أنجح السبل للتعرف على أهالي المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم ، كما أنها تساعد على خلق جو من الألفة والوئام rapport بينهم وبين الباحث ، وإرساء دوره بينهم كباحث مهتم بجمع المأثورات الشعبية .

والعثور على الإخباريين ليس بالعمل اليسير ، وقد يستغرق الكثير من الوقت ، ويستنفد الكثير من الجهد ؛ وللوصول إلى الإخباري يتحتم على الباحث في أحيان كثيرة أن يمر بشبكة متداخلة ومتشعبة من الاتصالات الشخصية والرسمية ، ومن المواقف والعلاقات الاجتماعية وسلسلة طويلة من الأشخاص ، كل منهم يحيله إلى الآخر حتى يصل في النهاية إلى الشخص المطلوب . وكثيراً ما يسمع الباحث من الآخرين أن فلاناً من الناس راوية جيد وحينما يسعى لمقابلته ويرتب لقاء معه يجد أنه

ليس على المستوى المطلوب ، أو لا يجد عنده التعاون الكافي ، أو يجد أنه ليس إلا أحد هواة الجمع الذين يأخذون ولا يعطون ، هذا عدا عدم تقيد بعضهم بالمواعيد والالتزامات .

وعامة الشعب على الرغم من ولعهم بمأثورهم الشعبي وترديده إلا أنهم قد يخجلون من الاعتراف بذلك ، ويترددون في الإدلاء بمالديهم إذا طلب الباحث منهم ذلك . كما أن بعضهم قد يصعب عليه أن يتصور أن أي شخص متعلم يمكنه أن يقدر هذا المأثور ويأخذه مأخذ الجد ويجد فيه شيئاً نافعاً يستحق الجمع . وكثيرون منهم قد يشكون في نوايا الباحث ويتساءلون عن الدوافع الحقيقية التي حدته إلى تجشم كل هذه المصاعب لجمع قصائد وأخبار عفى عليها الزمن أو لجمع حكايات العجائز ومرددات الأطفال . لذا فإن على الباحث أن يتسلح بالصبر وأن لا يتوانى في شرح مهمته وتوضيح هدفه من البحث لكل من يهمه الأمر من أجل أن يبدد ما قد يحاك حوله من إشاعات ويقضي على ريبة الناس وشكوكهم . كما يجب عليه أن يؤكد على أن غرضه علمي بحت لا دخل فيه للتجارة والربح المادي وأنه ليست له أي علاقة بمحطات الإذاعة والتلفزيون وأن ما يجمعه من معلومات سوف يحتفظ به كمادة علمية وكهدية للأجيال القادمة .

٣ر٣ - سبل جمع المادة الشعبية :

هناك نوعان من السياق الأدائي performance context أو السياق الاجتماعي Social context اللذين يمكن أن يتم فيهما أداء المادة التي يرغب الباحث في جمعها هما السياق الطبيعي natural context والسياق الاصطناعي أو المفتعل artificial context والمقصود بالسياق الطبيعي ذلك السياق الذي يتم فيه عادة أداء الظاهرة أو الحدث الذي يريد الباحث دراسته حيث يجتمع جمهور المؤدين والمشاهدين أو المستمعين ليؤدوا هذا النوع من النشاط الاجتماعي في المناسبة المعتادة بصورة عفوية تلقائية غير مفتعلة . ولاشك أن السياق الطبيعي هو الأنسب للجمع والدراسة ولكن أحياناً يتعذر على الباحث الحضور في الوقت المناسب لمشاهدة الظاهرة في سياقها الطبيعي ، وغالباً ما تكون الظاهرة قد انقرضت مما يضطر الباحث

لاختلاق سياق مصطنع بالتعاون مع من يجيدون أداء النشاط المطلوب ليتمكن من مشاهدة الأداء بنفسه بدلاً من الاعتماد على أقوال الناس .

وجمع المادة إما أن يتم عن طريق الملاحظة observation أو المشاركة parti-cipation أو المقابلة interview . وكل طريقة من هذه الطرق الثلاث لها سلبياتها وإيجابياتها ويستحسن الجمع بينها وتوظيفها جميعاً في خدمة البحث الميداني . فالمشاركة الفعلية تتيح الفرصة أمام الباحث ليشارك الجمهور مشاعرهم وأحاسيسهم ويراقب نشاطهم عن كثب ويتعرف على الدوافع التي تحدوهم إلى ممارسة هذا النشاط وتجذبهم إليه . وبذلك يكتسب البحث عمقاً نفسياً وبعداً اجتماعياً يستحيل تحقيقهما بالطرق الأخرى . ولكن المشاركة كثيراً ما تتطلب تركيزاً ذهنياً وجهداً جسدياً يصرفان الباحث عن مهمته العلمية فيصبح واحداً من المؤدين ويتخلى عن دوره كباحث ويفقد القدرة على تدوين الملاحظات وإدارة الأجهزة إذا كانت لديه أجهزة وما إلى ذلك . وقد يكون الأداء من الصعوبة بحيث يستحيل على الباحث المشاركة فيه (كالغناء والرقص) أو قد يرفض المؤدون إشراكه لكونه شخصاً غريباً . لذا فإن الباحث كثيراً ما يكتفي بالملاحظة دون المشاركة . أما المقابلة الشخصية مع من يجيد فناً من الفنون أو حرفة من الحرف الشعبية فإنها مهمة في سد الثغرات والحصول على المعلومات التي لايمكن الحصول عليها عن طريق المشاركة أو الملاحظة ، كتاريخ الظاهرة التي يدرسها الباحث ، وتطورها عبر الزمن ، وبعض المعلومات عن حياة المشاركين فيها وغيرذلك من المعلومات الضرورية .

والتركيز على أي من الطرق الثلاث السالفة الذكر (المشاركة ، الملاحظة ، المقابلة) يعتمد على طبيعة المادة وهدف الباحث . والبحث الفلكلوري بطبيعته يميل إلى المقابلة إذ أن الهدف في معظم الحالات هو جمع النصوص الشفهية من الأدب الشعبي أو الحصول على وصف شفهي لبعض مظاهر الحياة الشعبية المندثرة . وهناك نوعان من المقابلة : المقابلة الموجهة directed interview والمقابلة غير الموجهة non-directed interview ففي المقابلة غير الموجهة يقترح الباحث موضوعاً ويترك للإخباري الحرية الكاملة للتحدث عنه كيف يشاء بصورة تلقائية وبشكل مفصل . وهذه الطريقة مفيدة في المراحل الأولى من البحث لتوثيق المعرفة وتوطيد الوئام بين الباحث والإخباري لأنها تخلو من الأسئلة المحددة التي قد تسبب الحرج أو الإرباك .

وهذا الحوار المفتوح كثيراً ما يفيد في الكشف عن معلومات أو قضايا لم يتنبه إليها الباحث ولم يأخذها في الاعتبار . كما أن الإخباري إذا أتيحت له الفرصة ليتكلم على سجيته بدون قيود قد يبوح بمعلومات لا يقبل الإفصاح عنها فيما لو سئل عنها مباشرة . أما المقابلة الموجهة فإن الأسئلة فيها تحدد سلفاً ويطلب الباحث من الإخباري إجابات محددة لمواضيع معينة .

٣ر٤ ـ إجراء المقابلات وطريقة الإستجواب :

في المقابلة الأولى يشرح الباحث للإخباري بأسلوب واضح ولغة مبسطة هدفه من البحث والمواد التي يود الحصول عليها ، ويعرفه على ما معه من أجهزة وآلات وطريقة عملها إذا كان معه شيء من ذلك مثل آلة التسجيل أو آلة التصوير . كما يحاول الباحث أن يخلق جواً من الألفة والثقة بينه وبين الإخباري ويسأله أسئلة عامة لسبر غوره واستكشاف ما لديه من مأثور شعبي . وفي أثناء ذلك يقوم الباحث بتسجيل رؤوس أقلام في ذهنه أو على ورقة لما يختزنه الإخباري في ذاكرته من أخبار وأشعار وحكايات ونوادر وما إليها ، كأن يسجل مثلاً عناوين الحكايات أو مطلع القصائد أو أسماء الشعراء وما إلى ذلك من أجل الاستعانة بهذه المعلومات كوسيلة للاستذكار والاستجواب في الجلسات المقبلة حين تبدأ عملية التسجيل الفعلي .

وبعد الجلسة الأولى التي هي جلسة الاستكشاف والتعرف على ما لدى الإخباري من مأثورات شعبية تبدأ عملية التسجيل أو التدوين . ويفضل أن تكون المقابلات الأولى غير موجهة ، أي أن يبدأ الباحث بتوجيه أسئلة عامة للإخباري دون أن يقيده بموضوع محدد بل يتركه على سجيته . والغرض الأساسي من المقابلات الأولى مع الإخباري هو دراسة نفسيته والتغلغل إلى أعماق شخصيته ما أمكن والتعرف عن كثب على أسلوبه وطريقة إلقائه ومهارته في السرد . ومن باب تشجيع الإخباري والرفع من معنويته يطلب منه في البداية وصف مهارات يتقنها أو التحدث في مواضيع يعرفها جيداً حيث إن الباحث من خلال الجلسة الأولى يكون قد كوّن فكرة عامة عن حصيلة الإخباري من المأثورات الشعبية .

وبعض الإخباريين قد يكون لديه الاستعداد للشروع في سرد ما لديه من قصص وأشعار من الجلسة الأولى دون حاجة إلى مقدمات تمهيدية وجلسات استطلاعية ، لذلك يستحسن دائماً أن تكون آلة التسجيل جاهزة للاستعمال في أي وقت . وينبغي للباحث ألا يؤجل تسجيل ما لدى هؤلاء الإخباريين حتى جلسات قادمة لأنهم قد يفقدون الحماس أو الرغبة في التسجيل في الجلسات القادمة . وقد أثبتت لي التجربة أن الإخباريين لايرغبون وربما لايستطيعون رواية القصة نفسها للشخص نفسه مرة أخرى إلا بعد مضي فترة طويلة على الرواية الأولى لأنهم يستهجنون إعادة الكلام ولايستسيغون الترديد . ففي أكثر من مناسبة أطلب من أحد الإخباريين أن يعيد علي قصة سمعتها منه بالأمس أو منذ يومين فيرفض معتذراً بأنه سبق أن قصها علي ولايرى أي فائدة في إعادتها ، وفيما لو وافق فإنه يرويها بشكل مقطع ومختصر مما يخل ببنية القصة وحبكتها الفنية ويفقد الأداء الحرارة والحيوية التي لاحظتهما في المرة الأولى .

وبعض الإخباريين قد يتلكأ في البداية ، ويتردد في الإدلاء بما لديه ظناً منه أن ما عنده ليس ذا أهمية وأنه لايستحق الذكر . كما ينبغي ملاحظة أن معظم الناس يختزنون في أذهانهم من المأثورات الشعبية أكثر مما يعتقدون لذلك فإن على الباحث أن يستخدم مهارته وخبرته عن طريق الأمثلة والأسئلة التي تساعد على نبش هذه المواد من الذاكرة وإبرازها إلى السطح . وعلى الباحث أن يضع في ذهنه عدة أسئلة ذات طابع عام ليستعملها عند الحاجة لحض الإخباري واستدراجه إلى الحديث حينما يفتر وتطول فترات صمته . ويستقي الباحث مواضيع هذه الأسئلة من جلساته الأولى مع الإخباري أو من قراءاته السابقة عن مأثور المنطقة . كما يستحسن أن يكون لدى الباحث نفسه حصيلة جيدة من المأثور الشعبي يستعملها عند الحاجة لاستدراج مخبريه واستدرار ما لديهم من مواد مخزونة . فسرد الحكايات والأشعار وما إلى ذلك قد يفيد كثيراً في تنشيط ذاكرة الإخباري وإعطائه فكرة عن المواد التي يرغب الباحث في جمعها . ولكن في تلك الحالة يجب على الباحث أن لايقوم بهذا الدور بشكل بارع حتى لا يبهر الإخباري ويجعله يفقد الثقة بنفسه . وكقاعدة عامة ، ينبغي على الباحث أن لايحاول تسليط الضوء على نفسه ويحتل مكاناً بارزاً في أثناء المقابلات التي يجريها مع الإخباريين حيث إن مهمته هي حفز الإخباريين ليؤدوا هم الدور الرئيس ، ويحتلوا المكان البارز ، ويجودوا بما لديهم من رصيد شعبي بطريقة عفوية تلقائية .

أي : على الباحث أن يقوم بدور الموجه الذي يدير دفة الحديث . وكثيراً ما يكون مجرد هز الرأس أو تركيز النظرات على الإخباري أو إعادة آخر كلمة تلفظ بها كافياً لتشجيعه على المضي في الحديث وإشعاره بأن الباحث متابع لما يقوله . ومن الوسائل الناجعة لتشجيع الإخباري على الحديث هو أن يتعمد الباحث الخطأ أو الجهل كأن ينسب قصيدة ما إلى غير قائلها أو أن يرويها بطريقة غير صحيحة أو أن يخلط بينها وبين قصيدة أخرى أو غير ذلك مما يحفز الإخباري إلى تصحيح معلومات الباحث ، ويحدوه إلى إيراد الرواية الصحيحة ، وهكذا يكتسب الثقة في نفسه ويشعر بأهمية ما لديه من معلومات وأخبار ويتشجع على المضي في الحديث والإفضاء بما يحفظه من مأثورات شعبية . ولكن حينما يلجأ الباحث إلى التظاهر بالجهل ينبغي عليه أن يستخدم هذه الطريقة بحكمة ووعي وتدبر حتى لايحسبه الإخباري إنساناً ساذجاً عديم المعرفة .

وليس من الحكمة أن يصر الباحث على الإخباري أن يجيب على أسئلة لايعرف الإجابة عليها أو يجره إلى الحديث عن مواضيع يجهلها أو لا يرغب الخوض فيها لأن ذلك قد يربك المقابلة أو يفضها أو قد يضطر الإخباري أمام إصرار الباحث للإدلاء بمعلومات خاطئة . وعلى الباحث أن يتجنب مضايقة الإخباري وإزعاجه بالإلحاح عليه أن يفشي أسراراً شخصية أو عائلية لايرغب البوح بها فمن حق أي شخص أن يحتفظ بأسراره لنفسه .

وحينما يبدأ الإخباري في الحديث يتركه الباحث على سجيته ويشجعه على الاستمرار ، ولا يقفز به قفزات سريعة من موضوع لآخر ، ولايكثر من مقاطعته إلا إذا شذ عن الموضوع فإنه يحاول أن يرده إليه بلباقة ولطف . وحينما يكون الإخباري منهمكاً في الكلام يقوم الباحث بتدوين أية أسئلة أو استفسارات تخطر على باله لطرحها على الإخباري بعد أن يتوقف عن الحديث ، وليس خلال الحديث ، حتى لايقطع عليه حبل أفكاره . بل إنه في بعض الحالات كما في سرد القصائد مثلاً لاتجوز المقاطعة لأن رواية القصيدة تعتمد على الحفظ ، لذا فهي تحتاج إلى التركيز وحشد الطاقة الذهنية وأي مقاطعة قد تربك الراوية وتشوش أفكاره . وقد قابلت بعض الرواة الذين لايستطيعون إملاء القصائد التي يحفظونها بتمهل لأنهم تعودوا على هذّها بسرعة . كما أن الواحد منهم لايستطيع المضي في سرد القصيدة إذا أوقفته في أثناء السرد لأسأله عن كلمة غريبة أو بيت غامض ، ولكنه بعد الإجابة على السؤال يضطر

إلى إعادة أبيات القصيدة من بدايتها مرة أخرى . ومثل هذه الملاحظات تفيدنا كثيراً في فهم عملية الأداء الشفهي ودور الحفظ والاستظهار في ذلك .

ومن المؤكد أنني لا أقصد مما قلته في الفقرة السابقة الحد من الأسئلة والاستفسارات ، بل على العكس فإنه يلزم السؤال في اللحظة المناسبة عن كل صغيرة وكبيرة وعن جميع ما يتضمنه حديث الإخباري من رموز وإشارات غامضة ومايستغلق فهمه وإدراكه من صور ومعان وألفاظ غريبة وأسماء شخصيات وأماكن غير معروفة . وهناك الكثير من أجناس الأدب الشعبي ، كالقصص ، والقصائد التي يستحيل فهمها وتذوقها بمجرد شرح مفرداتها أو توضيح عباراتها ، بل لابد من الإلمام التام بخلفيتها التاريخية والمحيط الحضاري والاجتماعي الذي نشأت فيه وجميع الظروف والملابسات المحيطة بها . وإذا وردت في المادة المجموعة أمثال فإنه يلزم إيضاح معانيها وشرحها وذكر المناسبات التي قيلت فيها والظروف التي يمكن استخدامها فيها . كذلك بالنسبة للأحاجي والألغاز ينبغي إيراد حلولها وإذا كانت العلاقة بين اللغز والحل غير واضحة فإنه يلزم توضيحها .

ومن الأشياء التي يجدر التنبه لها وأخذها في الاعتبار أن الكثير من القصص والقصائد التي يرويها الرواة نبعت من بيئتهم المحلية والمستمعون المحليون الذين اعتادوا على سماعها منهم يكونون غالباً على علم ودراية بشخصياتها وأحداثها وجميع تفاصيلها ، أي أن لديهم الخلفية والمعطيات الكافية لمتابعة الراوي واستيعاب كل مايقوله . أما الشخص الغريب الذي يسمع هذه القصص والقصائد لأول مرة فإنه قد يجد هناك فجوات في المعلومات وإشارات مقتضبة غامضة تحول دون فهمه لكل ما يقال ، أي أنه يحتاج إلى شروح وإيضاحات إضافية تساعده على الفهم . وبعض الرواة يدركون هذا الفرق بين المستمع المحلي والمستمع الغريب ويحاولون أن يكيفوا طريقتهم في السرد بمقتضى هذا الفرق فيتوسعون في إيراد التفصيلات والتعليقات إذا دعا الأمر . ولكن هناك من الرواة من لا يعي هذا الفرق ولايحسب له حساباً مما يحتم على الباحث أن يلح في السؤال ، ولكن بلطف ولباقة ، لاستيفاء الإيضاحات والإضافات الضرورية لفهم القصة أو القصيدة فهماً تاماً وسليماً .

وهناك تفاوت واضح في ملكات الإخباريين وقدراتهم ؛ فبعضهم ، وإن كانوا أميين ، بإمكانهم تحليل الأمور تحليلاً عميقاً ، والبحث في أصولها وجوهرها ومغازيها

البعيدة ، ويستطيعون التعبير عن مشاعرهم وآرائهم بطلاقة ووضوح . وبعضهم لديهم قدرة عجيبة على الحفظ والاستظهار وتنسيق المادة التي يحفظونها وعرضها بطريقة منظمة ، مثل خفيج بن عبدالله بن بدهان الرمالي الشمري الذي حصلت منه على ثلاثين ساعة من التسجيل ما بين قصص وقصائد حفظها كلها عن ظهر قلب . وهناك نوع من الإخباريين لا يرغبون في النقاش لأن الأسئلة تربكهم وتضايقهم . وعلى الباحث أن يراعي هذه الفروق وأن تكون أسئلته تتناسب مع قدرات الإخباري ولا تتعدى معرفته وكفاءته .

وحينما يتناقش الباحث مع الإخباري في موضوع معين ينبغي أن تكون أسئلته هادفة ومركزة تستكشف من خلالها الدوافع والمعطيات والخلفيات التي تسير الأحداث وتحرك الشخصيات التي يتحدث عنها الإخباري . وعلى الباحث ألا يقتنع بالإجابات السطحية المقتضبة بل يحاول قدر الإمكان ، مستخدماً مهارته في طرح الأسئلة وتوضيح قصده ، أن يتغلغل إلى صلب الموضوع ويثير القضايا الأساسية فيه . وهذه الطريقة في النقاش لها فوائد أخرى ، فهي تساعد الإخباري على تذكر أشياء أخرى قد تكون غابت عن ذهنه لأن القصص تتداخل والأحداث تتشابك والحديث يجر بعضه بعضاً ، إلا أنه في مثل هذه الحالة يجب أن تظل المقابلة محتفظة بقدر من التنظيم والتسلسل الموضوعي وترتيب الأوليات حتى لايتشتت الحديث وتتلاشى المعالم الرئيسة للموضوع .

وطريقة النقاش وصياغة الأسئلة تتطلب شيئاً من الحيطة والمهارة من جانب الباحث . فليس له أن يجيب عن أسئلته بنفسه أو أن يلقن الأخباري أو يلقي الجواب في ذهنه أو أن يطرح عليه آراءاً وفرضيات يختمها بعبارة « أليس كذلك » أو ماشابهها مما قد يحرج الإخباري ويضطره إلى الموافقة على أشياء لايعتقد بصحتها أو لايعرفها . ومن الخطأ صياغة السؤال بطريقة توحي بمضمون الجواب الذي يتوقعه الباحث أو تعطي الانطباع بأنه يحاول إثبات نقطة معينة . فلابد أن يترك الإخباري على سجيته ليجيب على أسئلة الباحث حسبما يعتقد وكيفما يريد . ومما يجدر التنبه إليه والحذر منه أن بعض الإخباريين قد يقولون ما ليس هو الصحيح والواقع فعلاً بل ما يعتقدون أنه الشيء الذي يرضي غرور الباحث ويتمشى مع رغبته . وحالما يلاحظ الباحث مثل ذلك الأسلوب عليه أن ينبه الإخباري بطريقة حازمة لا تقبل الشك أن هدفه هو البحث عن الحقيقة دون تحريف ولا تزييف وأنه لا يقبل المجاملات والمغالطات التي

قد تضر بالبحث . وقد وضّح الجوهري وزملاؤه طبيعة المقابلة بين الباحث والإخباري كما يلي :

وتقضي « المقابلة » بين الجامع والإخباري ـ في كل الأحوال ـ قدراً كبيراً من حسن الإدراك والتدبير . وبراعة الجامع في إجراء الحوار هي التي تفتح له مغاليق الراوي ، وتجعله يهب كل ما لديه عن طيب خاطر إن لم يكن باستمتاع . فالمقابلة ليست مجرد محادثة ، ولكنها ـ فوق ذلك ـ حوار . ولابد للمقابلة ـ كي تلقى نجاحاً ـ أن توهب الحرارة والتبادل الشخصي اللذين يوهبان للحوار . ونحذر ثانية بأن ذلك لايعني أن يفرط الجامع في التبسيط والود حتى لا يفلت زمام المقابلة من بين يديه . ولابد أن يبقى بعض من الطابع الرسمي وإلا صعب السيطرة على الراوي المجيب ، وفقد الجامع الثقة . على الجامع أن يحافظ على التوازن بين حد التعامل الإنساني الودود والتأكيد على أنه ليس أرفع من جمهور رواته ، وحد التعامل الواضح من أنه في النهاية لديه عملٌ لابد أن ينجزه وبنجاح[٣٢] .

وهناك بعض الإجراءات الفنية التي تتعلق بعملية تسجيل المقابلة على آلة التسجيل ، والتي ينبغي للباحث مراعاتها حتى يضمن جودة التسجيل ووضوحه . يستحسن أن يقلل الباحث من مقاطعة الإخباري في أثناء التسجيل ، وأن يقلل من التعليق على كلام الإخباري ولا يتحدث إلا عند الضرورة لأنه حينما يأتي الوقت لتفريغ الشريط فإن الباحث قد يجد أن حديثه ومقاطعته تغطي على حديث الإخباري وتطمس بعض الكلمات والعبارات . وقد يكون الراوي ممن يتحمسون في أثناء الحديث فيخبط بعصاه على الأرض أو بيده على المخدة ، وعلى الباحث أن ينبهه بلطف إلى أن هذه الحركات تؤثر على جودة التسجيل . وبما أن مايسجل على شريط التسجيل شيء يسمع ولايرى فقد يكون من الضروري أن يتدخل الباحث في بعض الأحيان ليبين مايقوم به الإخباري من إشارات وإيماءات توضيحية لا تظهر على شريط التسجيل . مثلاً حينما يقول الإخباري بأن طول الرمح من هنا إلى هناك (مشيراً بيده إلى نقطة معينة) فإنه من المستحسن أن يضيف الباحث قائلاً : أي

حوالي متر ونصف المتر . أو لنفرض أنه خلال عملية التسجيل كان يجلس مع الباحث والإخباري صبي عمره تسع سنوات وفي أثناء حديث الإخباري عن مغامراته في الصغر يقول بأنه حينما سافر إلى البلد الفلاني كان عمره يقارب عمر هذا الصبي الجالس هنا فيتدخل الباحث قائلاً : أي حوالي تسع سنوات .

٥ر٣ - المقابلة الجماعية :

من الأمور التي تجدر مراعاتها أنه كلما كان المحيط الذي يتم فيه جمع المادة وتسجيلها قريباً من الواقع وبعيداً عن الافتعال والتصنع كلما كان أضمن لسلامة النتيجة وجودة المحصول . ومن الأشياء التي قد تساعد على حيوية الأداء وخلق جو طبيعي وجود عدد قليل من المستمعين . كما أن وجود إخباريين أو ثلاثة في أثناء المقابلة يتناوبون رواية الأحاديث وسرد الأشعار مما يساعد على إذكاء روح التنافس بينهم وبالتالي غزارة المحصول وتنوعه . ولكن يستحسن أن لايزيد عدد الحاضرين عن عدة أشخاص حتى لا تتحول المقابلة إلى جلسة صاخبة يصعب السيطرة عليها فيفلت زمام الأمر من يد الباحث .

ويلزم أن نتذكر أنه ليس من الضروري أن تتم عملية الجمع والتسجيل دائماً خلال مقابلات يرتبها الباحث مع الإخباريين ، بل إنه يفضل أحياناً ، بناء على الظروف وطبيعة المادة ، أن تتم عملية جمع المادة في سياقها الأدائي الطبيعي في أثناء المناسبات الاجتماعية التي يجتمع فيها الناس عادة من أجل مزاولة هذا اللون من ألوان النشاط الاجتماعي . وفي تلك الحالة يلزم الباحث أن يحصل من المؤدين والمشاركين على إذن مسبق بتسجيل ودراسة نشاطهم ، ولكن في الوقت نفسه ينبغي عليه أن يحاول إنجاز مهمته دون أن يشعر المؤدون والمشاركون أن هنالك من يراقبهم ويسجل مايقومون به من غناء أو رقص أو محاورات شعرية أو ما إلى ذلك حتى لايتدخل وجود الباحث وما قد يصاحبه من مساعدين وآلات تسجيل وتصوير في سير الأمور وعفوية الأداء .

والمقابلات الجماعية لا تخلو من السلبيات التي ينبغي للباحث أن يتنبه لها ويحاول تلافيها . فقد يصعب على الباحث أحياناً أن يوجه مجرى الحديث نحو الوجهة

التي يريدها ، وقد ينصرف الحاضرون إلى الخوض في أمور تخصهم ، مثل : أسعار الأراضي أو تكاليف العمار أو أنواع السيارات وأثمانها أو غير ذلك من المواضيع التي لاتهم الباحث . وليس من المضمون في هذه الجلسات الجماعية أن يتصدى للحديث أكفأ الحاضرين وأقدرهم على سرد الحكايات ورواية الأشعار بل قد يتصدر الجلسة شخص ثرثار مهرج ممن يحبون البروز فيستأثر بالجلسة ولا يفسح المجال أمام الرواة والإخباريين الذين جاء الباحث من أجل مقابلتهم .

ويراعى في المقابلات الجماعية أن يكون الحاضرون متجانسين في السن والجنس . فقد يخجل الأطفال من أداء مأثورهم أمام الكبار ، والنساء أمام الرجال . وهناك مواضيع يتورع الرجال عن الخوض فيها بحضور النساء أو الأطفال . ولسبب أو لآخر قد يكون هناك مواضيع لا يرغب الإخباري في الخوض فيها أمام جماعته ويحبذ أن يخبر بها الباحث لوحده ، خصوصاً تلك الأمور التي تتعلق بالسحر والمعتقدات الشعبية وعلاج الجان وغيرها من الممارسات التي تنافي العقيدة ولا تتمشى مع العرف الاجتماعي . وقد لايرغب أبناء قبيلة أو منطقة معينة الخوض في النزاعات والحروب التي جرت بينهم وبين جماعة أخرى إذا كان أحد من أفرادها حاضراً في المجلس . ومن الحكمة أن يتجنب الباحث مثل هذا الموقف لأنه ربما يثير حزازات قديمة فيحدث شجار بين الحاضرين يضطر الباحث إلى فض المقابلة .

أذكر مثلاً أنني في إحدى رحلاتي الميدانية دعيت إلى رحلة برية حضرها مجموعة من الرجال ، وبدأ أحدهم يقص لي كيف استولى جده على مشيخة القبيلة واستلبها من الشيخ القديم . ولكن لسوء الحظ وبدون علم مني كان أحد الجالسين ، وهو شاب طائش من أحفاد الشيخ الذي سلبت منه مشيخة القبيلة ولم يكن راضياً عن رواية القصة فغضب واحتد النقاش بينه وبين الشخص الذي يروي القصة واتهمه بالكذب . وانقسم الحاضرون على أنفسهم بينما حاول بعضهم تهدئة الموقف . وكاد الأمر أن يفلت من أيدينا فاضطررت إلى سحب الشريط من آلة التسجيل وإتلافه أمام الشاب الغاضب لأهدىء من ثورته . وحينما هدأ شرحت له طبيعة مهمتي وهدفي من البحث عن هذه القصص وتسجيلها وقلت له بأن الدافع وراء عملي هو تسجيل هذه القصص وما يصاحبها من أشعار كوثائق تفيد المختصين في البحث الاجتماعي والتاريخي (يبدو أنه كان يعتقد أنني مبعوث من قبل الجهات المسؤولة لتحري الحقائق والبحث عن الشيخ الفعلي للقبيلة لمنحه إعانات وقروض حكومية

وصلاحيات إدارية وماشابه ذلك) ووضحت له أنه كان بإمكانه أن يتحلى بالصبر والأناة حتى ينتهي الراوي من سرد قصته ثم يأتي دوره هو فيتفضل ويدلي برأيه مدعماً بالأدلة والشواهد الشعرية كما لو كان أمام القاضي في المحكمة ويروي لنا الأحداث من وجهة نظره بشكل هادىء وبناء .

وهناك اعتبارات سياسية واجتماعية كثيرة قد تمنع الراوية من سرد بعض القصص والقصائد اعتقاداً منه أنه سوف يساء استخدامها وتستغل في إيقاظ الضغائن وإحياء العصبيات القديمة . وقد مرت بي عدة مواقف في أثناء العمل الميداني حينما أحل ضيفاً على شيخ أحد العشائر ويبدأ الراوية بسرد القصص والأشعار وحينما يبدأ بقصيدة أو قصة تدور حول حدث معين لا يود الشيخ أن يثار في مجلسه فإنه يأمر الشاعر بصريح العبارة أن يترك هذا الموضوع ويتكلم في موضوع آخر . ومن واقع تجربتي مع الرواة وجدت أن بعضهم يتحاشى ذكر القصائد التي قيلت في مدح آل الرشيد في حائل أو الأشراف في مكة أو تلك التي تتحدث عن النزاعات القبلية التي كانت تسود الجزيرة العربية حتى عهد قريب ، علماً بأن مثل هذه القصص والقصائد لا تقدر بثمن من حيث قيمتها التاريخية والاجتماعية .

وللحصول على مثل هذه القصائد أؤكد للرواة بأنها لن تنشر في وسائل الإعلام ولن تظهر لعامة الناس وأن الهدف من جمعها هدف علمي بحت وأنها سوف تحفظ في أرشيف الجامعة ولن يطلع عليها إلا عدد محدود من المختصين الذين هم أهل للثقة والذين لن يفكروا في استخدام هذه المعلومات لإلحاق الضرر بالإخباري بأي شكل من الأشكال . وأذكر الاخباريين بأن علماء العرب الأوائل ، وهم قدوتنا ومثلنا الأعلى ، لم يجدوا غضاضة في جمع الشعر الجاهلي وحفظه على ما فيه من مشاحنات قبلية ومخالفة لتعاليم الدين الحنيف فكانوا مثالاً مشرفاً في الدقة والنزاهة والأمانة العلمية ، وخلفوا لنا ثروة أدبية تتجدد قيمتها أبداً ونعتز بها على مدى العصور . وحري بنا أن نحذوا حذوهم ونقتفي أثرهم لجمع ما لدينا من الشعر النبطي قبل أن يفوت الأوان ونأسف على ضياع الفرصة . ثم إننا أصبحنا ولله الحمد نتمتع في ظل حكومتنا الرشيدة برخاء اقتصادي واستقرار سياسي لانريد عنهما بديلاً . فمن ذا الذي يود النكوص إلى العصور الغابرة ـ عصور الفقر والجهل والخوف والحرمان !

فالغرض من جمع الشعر النبطي ليس بعث الفوضى السياسية والاجتماعية بل خدمة العلم والمجتمع . وكثيراً مايفيد هذا الأسلوب في إقناع الإخباريين والرواة الذين يترددون في البداية ويدفعهم إلى الإدلاء بما لديهم من أخبار وأشعار .

٦ر٣ - علاقة الباحث مع حملة المأثور الشعبي :

علاقة الباحث مع حملة المأثور الشعبي تحكمها اعتبارات خلقية وإنسانية يلزم التمسك بها . فالباحث ينبغي أن تربطه مع الإخباريين والرواة علاقة تقدير واحترام وصداقة متبادلة ، وبالأخص أولئك الذين يتعامل معهم بصورة مكثفة ولفترات طويلة . ومن الخطأ أن ينظر الباحث إلى الإخباري ، مهما كانت منزلته الاجتماعية أو تحصيله الثقافي ، على أنه شخص أمي جاهل مسكين فيترفع عنه ويزدريه وينتقد سلوكه وتصرفاته ويحاول أن يغير طريقته في الحياة أو يعدل مفاهيمه ومعتقداته . بل إن على الباحث أن يلتزم الحياد التام حيال هذه القضايا التي يستحسن تركها وعدم إثارتها . كذلك على الباحث أن يبتعد عن التصنع والتزلف والشعور الزائف تجاه الإخباريين وما يحملونه من مأثور .

هذا ولا يحق للباحث أن يسجل أو يدون ما يفضي به الإخباري من معلومات إلا بعد أخذ إذن صريح منه بذلك . وإذا ما وثق الإخباري بالباحث وباح له بأسرار ومعلومات خاصة تتعلق بحياته الشخصية والعائلية أو غير ذلك من القضايا السرية فإنه يتحتم على الباحث أن لايفشي هذه الأسرار أو ينشرها بأي شكل من الأشكال .

أما من حيث مكافأة الإخباريين فإن هذه مسألة شائكة ومعقدة إلى حد ما ، إلا أنه من الأفضل استبعاد المكافآت النقدية قدر الإمكان وتقديم الاعتبارات المعنوية على الاعتبارات المادية[٣٣] . فمثلاً لو كان الإخباري مسناً أو عاجزاً يستحسن أن يقوم الباحث بقضاء حوائجه ومساعدته في الأمور التي يحتاج فيها إلى مساعدة كتخليص معاملاته من الجهات الرسمية والدوائر الحكومية أو مرافقته إلى المستشفى فيما لو احتاج إلى مراجعة الطبيب . وأحياناً مجرد زيارة ودية قد يكون لها وقع طيب في نفس الإخباري لاسيما إذا كان مسناً أو عاجزاً لايقدر على الخروج من منزله والترفيه عن نفسه . ولا بأس من تقديم بعض الهدايا الرمزية المعبرة في المناسبات الخاصة بقصد توطيد أواصر العلاقة بين الباحث والإخباري . غير أن هنالك حالات معينة

يتحتم فيها على الباحث أن يقدم مكافأة نقدية للإخباري وذلك حينما تكون الخدمة التي يقدمها هي مصدر رزقه كأن يكون مغنياً محترفاً أو فناناً تقليدياً أو ما شابه ذلك . وفي تلك الحالة يجب على الباحث أن يأخذ بمبدأ العدل والاعتدال فلا يبخس الإخباري حقه ولكن في الوقت نفسه لا يدفع له مبالغ باهظة مقابل خدماته . ولايجوز للباحث بأي حال من الأحوال مخادعة أو استغلال من يعمل معهم من حملة المأثور الشعبي كأن يتخذ براءتهم وطيبة قلوبهم وسيلة لابتزازهم وأخذ ما لديهم من تحف تقليدية ومصنوعات محلية بدون مقابل . كما لا يجوز نشر أو إذاعة ما أخذه منهم من معلومات بدون استئذانهم ثم الاعتراف بدورهم وشكرهم علناً .

ومسألة الوقت من المسائل المهمة التي يجب على الباحث مراعاتها . فلابد أن يتقيد بدقة المواعيد وأن يحدد لقاءاته مع الإخباري في الوقت الذي يكون مناسباً لكليهما . ولايحق للباحث أن يرهق الإخباري ويحمله ما لا يطيق ، بل عليه أن يعامله بأدب ولطف وأن لا يمطر عليه وابلاً من الأسئلة ويطلب منه الإجابة عليها جميعاً في جلسة واحدة . فالعمل الذي يقوم به الإخباري عمل ذهني شاق يتطلب الكثير من الجهد والطاقة . ولا يستحسن أن يطول اللقاء أكثر من ثلاث ساعات في اليوم إلا إذا أبدى الإخباري استعداداً وتحملاً فلا بأس من مواصلة الحديث .

٣ر٧ - الأداء والمؤدون :

اعتاد علماء المأثور الشعبي في السابق على جمع النصوص العارية من الشروح المجردة من الإيضاحات إلا أنه تبين لهم فيما بعد أن ذلك لايفي بالغرض المنشود ، إذ أنه لابد من أن تشفع هذه النصوص بالتفسيرات والتعليقات والمعلومات الوافية عن المؤدين وسياق الأداء والعلاقة التي تربط المؤدي بالمستمعين/المشاهدين . فهذه الظروف والملابسات مشحونة بالمعطيات الفكرية والعاطفية والاجتماعية التي تضفي على النص ألواناً وأبعاداً يستحيل فهمه وتقويمه بدونها . فالهدف من العمل الميداني هو دراسة الأدب الشعبي عن كثب في محيطه الطبيعي للتعرف على الخصائص الفنية التي تميزه عن الأدب المكتوب من حيث الشكل والمضمون . ومن حيث عملية الإبداع والنظم والأداء والانتشار والتداول والحفظ والارتجال ودور الذاكرة ، بالإضافة إلى وظيفة الأدب الشعبي في المجتمع وعلاقة المؤدين بجمهور المستمعين

وغير ذلك من المسائل العلمية الدقيقة التي تشغل بال العلماء في وقتنا الحاضر[٣٤] . كما يهدف البحث الميداني إلى إيجاد تصور كامل للمحيط الحضاري والإطار الاجتماعي الذي يستمد منه الأدب الشفهي صوره وأخيلته وأغراضه ، ويهدف البحث الميداني أيضاً إلى جمع المعلومات الضرورية عن حياة المؤدين والإخباريين المتميزين ودراسة ظروفهم المعيشية لتحديد مصادر إلهامهم والتعرف على مكانتهم الاجتماعية . فعملية البحث الميداني ليست عملية جمع عشوائية ، بل إنها عملية منظمة هادفة يقصد منها استشفاف ظواهر الأدب الشفهي وغيره من مظاهر الفن الشعبي لاستجلاء معالمها واستنباط معايير نقدية تتلاءم مع طبيعتها الفنية ووظيفتها الاجتماعية .

ويقسم عالم الفلكلور السويدي كارل فلهلم فان سيدو Carl Wilhelm van Sydow حملة المأثور الشعبي إلى حملة نشطين active bearers وحملة غير نشطين passive bearers[٣٥] . والحملة النشطون هم الأفراد الموهوبون الذين لديهم القدرة على الأداء ونقل المأثور وإفشائه بين الناس ، بينما الحملة غير النشطين يفتقدون هذه الميزات . ومن الطبيعي أن يركز الباحث على الحملة النشطين إلا أنه ينبغي أن لايغفل الحملة غير النشطين . فقد يكون لديهم من المعلومات والآراء النقدية عن المؤدين ومهاراتهم وعن أصول المأثورات الشعبية وطبيعتها وأسرارها الجمالية ما يستحق الجمع والتسجيل . ومن البديهي أن آراء الحملة النشطين في هذه الأمور جديرة باهتمام الباحث أيضاً .

ومن المسائل التي لابد أن يأخذها الباحث بعين الاعتبار ويفحصها بدقة عمليات الإنشاء والإنشاد الشفهي the oral process . فالأدب الشفهي يختلف عن الأدب المكتوب في أنه ينتقل لا عن طريق الكلمة المكتوبة بل عن طريقة الكلمة المنطوقة ، أي مشافهة . لذا فالنصوص الشفهية تختلف عن النصوص التحريرية في أنها مرنة وغير ثابتة . فهي عرضة لتغير دائم وتشكل مستمر مما يؤدي إلى ظهور روايات متعددة للنص الواحد . فمهمة الباحث هي أن يدرس كيف يتم هذا التغيير وما هي العوامل التي تؤثر فيه . لذا فإن عليه ألا يكتفي بتسجيل رواية واحدة لهذه الحكاية أو تلك القصيدة ، بل عليه أن يجمع كل ما يعثر عليه من روايات وأن يجمع الحكاية نفسها من عدة أشخاص ، بل حتى من الشخص نفسه على فترات متفاوتة حتى يتسنى له رصد التغيرات التي يتعرض لها النص والعوامل التي تؤدي إلى ذلك .

ومن الأخطاء الفادحة التي يقع فيها بعض الباحثين ممن تعوزهم الخبرة رفض تسجيل نص حكاية أو قصيدة تعرض عليهم إذا كانوا قد سجلوها من قبل . يقول أحمد علي مرسي في ذلك :

> **إن دارسي الأدب الشعبي يدركون تماماً أهمية جمع النصوص المختلفة وتحليلها ، ولكن بعض الدارسين لايدركون هذه الحقيقة خاصة الذين تأثروا بدراسة الأدب الخاص أو المدون ، إذ أنهم يكتفون في العادة بتسجيل رواية واحدة للنص الشعبي ، ويحدث في بعض الأحيان أن يبدأ أحد الرواة في رواية نص حصل عليه الدارس أو جمعه من راو آخر وعندئذ قد يخطىء الدارس التوفيق عندما يرفض تسجيل هذا النص أو غيره مما سجله من قبل ، ذلك أن ثراء الدراسة وما يمكن أن تسفر عنه من نتائج إنما يعتمد بالدرجة الأولى على المجموعات الكبيرة من النصوص المتنوعة والمتشابهة ، كما أنه من الخطأ أن نعد إحدى روايات النص الشعبي هي الرواية الصحيحة دون غيرها ، ومن ثم نعتمد عليها كأساس للتحليل وكأنها نسخة موثوق بها أو نموذج لنمط لايتغير من الأدب الخاص . وخلاصة القول أن نصوص الأدب الشعبي بأنواعه المختلفة حية مرنة ، تتقبل الإضافة والحذف والتعديل دائماً ، بينما تعيش الأنواع الأدبية الخاصة على حالتها التي أبدعها مؤلفوها دونما أدنى تعديل ، وإلا فقدت صلتها بمؤلفيها وأصبحت شيئاً آخر**(٣٦) .

وبالإضافة إلى تلك الأمور المنهجية والنظرية هنالك مسائل توثيقية يجب أن لايفوت الباحث ملاحظتها وتسجيلها مثل : مكان الجمع وتاريخه وكذلك اسم الإخباري أو المؤدي وجنسه وعمره وعنوانه وعمله ، أين ولد ؟ أين قضى معظم حياته ؟ متى وأين وممن اكتسب المادة التي تم جمعها منه ؟ وغير ذلك من المعلومات الأخرى التي يمكن الحصول عليها عن حياته وظروفه الاجتماعية . فهذه المعلومات عن حياة الإخباري وأسفاره وتنقلاته وصلاته بالآخرين تفيدنا كثيراً في التعرف على مصادر مواد المأثور الشعبي وسبل هجرتها ووسائل انتشارها .

ومن الأشياء الأخرى التي يجدر ملاحظتها وتسجيلها مكان الأداء (في المنزل ، في الحقل ، داخل القرية ، خارجها) وقت الأداء (صباحاً ، مساء) ، المناسبات التي يتم فيها الأداء (الأعياد ، الزواج ، الختان ، المآتم) ، ما إذا كان الأداء يتم في موسم معين من السنة (حرث الأرض ، حصاد الزرع ، صرام النخيل) ، ما إذا كان الأداء مصحوباً بآلات موسيقية (طبول ، ربابة ، سمسمية) أو غيرها من المعدات والأدوات مع وصف كامل ودقيق لها ، ما إذا كان الأداء مصحوباً برقص أو حركات أخرى ، ما إذا كان الأداء مقصوراً على فئة خاصة في المجتمع أو أصحاب مهنة معينة ، ما إذا كان المؤدون محترفين يكسبون عيشهم من هذا العمل أم أنهم مجرد هواة وأشخاص موهوبين . كذلك تجدر ملاحظة أجناس المؤدين والمشاهدين وأعمارهم . هل هم ذكور أم إناث ؟ هل هم صغار أم كبار ؟ أم أنهم خليط من مختلف الأجناس والأعمار ؟ كم عدد المؤدين ؟ هل الأداء فردي أم جماعي ؟ ماهو دور الجمهور ؟ هل يسمح لهم بالمشاركة أم يفترض فيهم السكوت والإصغاء فقط ؟ هل يسمح بالنقاش أو السؤال أو الاعتراض في أثناء الأداء أو بعده ؟ ما هو الاسم المحلي لهذا اللون من ألوان المأثور الشعبي ؟ ما هي وظيفته الاجتماعية ؟ ماهو شعور المؤدين والمستمعين تجاهه ؟ فإذا كانت حكاية مثلاً هل يعتقدون أن أحداثها واقعية وأشخاصها حقيقيون أم أنها مجرد قصة خيالية ؟ هل المؤدي يسرد نصاً حفظه عن ظهر قلب أم أن له الحرية في أن يحوّر ويغير حسبما يريد ؟ ما هي العوامل التي تتحكم في ذلك ؟ ما هي آراء المؤدين والجمهور فيما يتعلق بوظيفة هذا اللون من ألوان المأثور الشعبي وخصائصه الفنية ؟ ما هي الأسباب والدوافع التي تحفزهم للاستمرار في ممارسته والإبقاء عليه ؟ .

٨ر٣ - تدوين المأثورات الشعبية :

يتضح لنا مما تقدم أنه بالإضافة إلى النصوص والمعلومات التي يسجلها الباحث من أفواه الإخباريين مباشرة هنالك أيضاً ملاحظات وتعليقات يكتبها الباحث بنفسه وبأسلوبه عن الأداء والمؤدين والسياق الأدائي والإطار الاجتماعي الذي يتم فيه تسجيل هذه النصوص . وإذا تعذر تدوين هذه الملاحظات والتعليقات في أثناء عملية الأداء أو خلال اللقاء فإنه يلزم تدوينها بعد ذلك مباشرة حيث لاتزال

الانطباعات والصورة الكاملة بتفاصيلها الدقيقة عالقة في ذهن الباحث . وحينما يأتي وقت كتابة التقرير العلمي أو البحث فإنه يتعين على الباحث أن لايخلط بين آرائه واستنتاجاته الشخصية وبين أقوال الإخباريين . وعندما يفسر الباحث مظهراً من مظاهر الحياة الشعبية أو يعلق على نص من نصوص الأدب الشعبي ينبغي عدم استعمال العبارات التي لاتعني شيئاً أو التي يفترض في القارىء أن يكون ملماً بما يتحدث عنه الباحث مثل عبارة « كما جرت العادة » أو « كما هو معروف » .

ولقد اعتاد بعض جامعي المأثورات الشعبية ممن تنقصهم الخبرة العلمية في هذا المجال التحويرَ والتعديلَ في نصوص الأدب الشعبي حين نشرها وذلك بإعادة نسجها وتنقيحها وتهذيبها وحذف ما قد تحتويه من فحش وألفاظ نابية وتبديل لغتها من عامية إلى فصحى ، وغير ذلك من التغييرات التي تحولها من أدب شفهي شعبي إلى أدب تحريري ، وبذلك تفقد هذه النصوص قيمتها كمادة علمية يمكن الاستفادة منها في الدراسة والبحث . فمن الأمور الأساسية التي تجب مراعاتها دائماً عدم التصرف بنصوص الأدب الشفهي إلا في حالات الضرورة القصوى وفي حدود الأمانة العلمية .

٩ر٣ - إستخدام الأجهزة في الميدان :

تنقسم المأثورات الشفهية إلى ثابتة العبارة ومتغيرة العبارة . فثابتة العبارة هي التي تحتفظ بنصها اللغوي من رواية لأخرى دون تغيير كالأمثال والأحاجي والأشعار . أما متغيرة العبارة فصيغتها اللغوية غير ثابتة وإن كان مضمونها ثابتاً مثل الحكايات والنوادر . وقبل ظهور آلات التسجيل الصوتي كانت الكتابة هي الوسيلة الوحيدة لنقل نصوص المأثور الشفهي من أفواه الرواة . وكان العلماء في ذلك الوقت يصرون على تدوين النصوص ثابتة العبارة طبقاً للأصل الذي وردت به وكما تلفظ بها الرواة تماماً ، أي أن الراوي يملي على الباحث نص القصيدة مثلاً . أما النصوص متغيرة العبارة فإنهم ، تحاشياً لمقاطعة الراوي وإرغامه على التريث المخل بسياق الأداء وعفويته ، كانوا لايجدون غضاضة في الاستماع إليها أولاً ثم تدوينها في أقرب فرصة بعد ذلك وفي أقرب صورة ممكنة للصيغة التي جاء بها الراوي .

وبعد أن ظهرت آلات التسجيل الصوتي استغلها علماء الفلكلور في البحث الميداني لتسجيل المقابلات التي يجرونها مع الرواة والإخباريين وغير ذلك من النشاطات الفلكلورية التي يجمعونها في الميدان . وهكذا أصبح من السهل تسجيل النصوص الشفهية الثابتة منها والمتغيرة كما تلفظ بها الرواة ، كما أصبح بالإمكان تسجيل النبرات والنغمات الصوتية المعبرة التي لايمكن إبرازها كتابة . كذلك التكرار والتردد والتذكر والتوقف وغير ذلك من الخصائص الأدائية التي تميز الأدب الشفهي الذي يعتمد على الحفظ . والاحتفاظ بهذه الخصائص على شريط التسجيل يمكننا من دراسة عملية الأداء في الأدب الشفهي ، لذا لايجوز للباحث أن يحاول حذفها أو التقليل منها في أثناء التسجيل أو بعده . واستخدام آلة التسجيل يعفي الباحث من تدوين النصوص خطياً ليتفرغ للتحاور مع الإخباري وتدوين ما يعن له من ملاحظات وتعليقات .

وبالإضافة إلى آلة التسجيل يعتبر ظهور أجهزة التصوير الفوتوغرافي والسينمائي فتحاً جديداً في عالم البحث الميداني . فبواسطة آلة التصوير يمكن التقاط تعابير الوجه وحركات الجسم واليدين التي تصاحب الكلام والرقص الذي يصاحب الغناء وغير ذلك من الإيماءات والإشارات التي تكون جزءاً أساسياً من الأداء والتي يستحيل إبرازها بواسطة آلة التسجيل أو الكتابة . وبواسطة آلة التسجيل وآلة التصوير معاً يمكن التقاط وتسجيل العلاقة الديناميكية بين المؤدين والمستمعين وسياق الأداء بكل ملابساته وتفاصيله الدقيقة ، وهذا مما يثري ويعمق دراسة المأثور الشعبي ويضفي عليها أبعاداً جديدة . ولاينطبق ذلك على الغناء والأدب الشعبي فحسب بل يشمل أيضاً الحرف والمهن التقليدية والألعاب الشعبية .

وبالإضافة إلى هذه المنافع الجمة فلقد أثبتت التجربة أن سماع المؤدي صوته على آلة التسجيل أو مشاهدته لصورته على آلة العرض السينمائي مما يشجعه على الإدلاء بالمزيد مما لديه من المأثور الشعبي ويحفزه على بذل جهد أكبر في المستقبل .

ويراعى في اختيار هذه الأجهزة أن تكون سهلة الحمل والاستعمال من الممكن تشغيلها على التيار الكهربائي والبطاريات الجافة . ولضمان النتيجة يلزم الباحث التدرب على استعمال هذه الأجهزة قبل الذهاب إلى الميدان والتأكد من اصطحاب كميات كافية من البطاريات والأفلام والأشرطة . ومن المستحسن استخدام

مسجلات الكاسيت لسهولة حملها وتشغيلها ، على أن تستبعد الأنواع الرخيصة جداً أو الصغيرة جداً لعدم جودة أدائها .

وقد تكون العدة التي يصطحبها الباحث معه إلى الميدان متواضعة لكنها تؤدي الغرض المطلوب منها على الوجه الأكمل . فعلى سبيل المثال ، جميع الأجهزة التي أستخدمها في مشروع جمع الشعر النبطي تستوعبها حقيبة سامسونايت صغيرة أحملها بيدي . وتحتوي هذه الحقيبة على كاميرا نوع Ricoh AF-2 وهي سهلة الحمل والاستعمال وتلتقط صوراً جيدة وقيمتها ثمانون دولاراً أمريكياً ، ومسجل كاسيت ستيريو نوع Sanyo M7500F وهو خفيف الحمل أنيق الشكل جيد الأداء ، ويتم ضبط الصوت فيه تلقائياً في أثناء التسجيل وقيمته مائتان وعشرون ريالاً سعودياً ، وعلبة بطاريات تتسع لأربع وعشرين بطارية حجم C نوع Duracell وعلبة أشرطة كاسيت تتسع لعشرة أشرطة من نوع Maxell C-90 Low Noise ومدة الشريط ساعة ونصف . كما تتسع الحقيبة بالإضافة إلى ذلك لكراستين واحدة بها خمسون ورقة حجم ١٤×٨,٥ بوصة لتدوين الملاحظات الميدانية ، والأخرى بها سبعون ورقة حجم ٧×٥ بوصة استخدمها لكتابة الإيصالات ، ويتضمن الإيصال مكان التسجيل وتاريخه واسم الإخبارى وعدد الأشرطة التي سجلتها منه والمدة الزمنية والمكافأة التي تقاضاها مقابل ذلك مع توقيعه أو بصمة إبهامه . وبما أن معظم الرواة الذين أتعامل معهم من أبناء البادية الأميين الذين لايعرفون القراءة والكتابة ولايستطيعون التوقيع فإنني أحمل معي علبة صغيرة من حبر الأختام Stamp Pad لاستخدامه في البصمات .

ومن الضروري أن يعمل الباحث نسخاً من الأصول لجميع أعماله في الميدان سواء المدون منها أو المصور أو المسجل وذلك حتى يمكنه الرجوع إلى هذه النسخ فيما لو فقد الأصل .

٣ر١٠ - حفظ وفهرسة التسجيلات الصوتية :

لاأريد أن أتحدث هنا عن الأسس المتبعة في تصنيف مواد المأثور الشعبي في الأرشيفات والمتاحف الشعبية ، فذلك موضوع واسع يستحق بحثاً مستقلاً[٣٧] .

لكنني سأتحدث باختصار عن الطريقة التي ستطبق في حفظ وفهرسة الأشرطة الصوتية الخاصة بمشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية التي ستودع في الأرشيف الصوتي في كلية الآداب بجامعة الملك سعود . في هذا المشروع تسجل جميع المقابلات مع الرواة والإخباريين على أشرطة كاسيت من النوع الجيد موحدة اللون والماركة ومدة الشريط ساعة ونصف . وأشرطة الكاسيت أفضل من البكرات reel tapes نظراً لصغر حجمها وسهولة حملها وحفظها وتشغيلها . وقد وقع اختيارنا على الشريط الذي مدته ساعة ونصف لأنه يستوعب مادة أكثر من الشريط الذي مدته ساعة وإن كان لايختلف عنه من حيث الحجم والمتانة والأداء . أما الشريط الذي مدته ساعتان فإنه رقيق جداً وسريع العطب . وبعد التسجيل تستخرج ثلاث نسخ من الأصل على آلة النسخ السريع . وللتفريق بين الأصول والنسخ فإن الأولى لونها أحمر والأخرى لونها أزرق . والنسخ هي التي تستخدم في عمليات الفهرسة والتفريغ والدراسة ، أما الأصول فتحفظ في خزانات مغلقة ولا تستعمل إلا لعمل نسخ إضافية .

ونستخدم في النسخ جهاز من نوع High Speed Cassette to Casstte Printer Sony SSP-13B وهذا الجهاز يعمل من الأصل الواحد ثلاث نسخ في آن واحد ويستغرق نسخ الشريط الذي مدته ساعة ونصف أقل من أربع دقائق . وقيمة الجهاز عشرة آلاف ريال سعودي . وهذا الجهاز لايمكن التحكم في سرعته وتهدئتها ويسجل على وجهي الشريط في الوقت نفسه . وهناك نوع آخر من أجهزة النسخ الصوتي ليست له السرعة نفسها التي للجهاز الأول ولايعمل إلا نسخة واحدة ولكن له ميزات أخرى مفيدة في الحذف والإضافة وإعادة ترتيب المادة وما إلى ذلك من عمليات التنقيح editing . فهذا الجهاز له حاملان للأشرطة أحدهما يوضع فيه الأصل المراد نسخه والآخر يوضع فيه شريط النسخ . ويمكن التسجيل من شريط إلى آخر بالسرعة العادية كما يمكن مضاعفة السرعة . ويتم تسجيل كل وجه من الشريط على حده ويمكن إيقاف التسجيل عند أي نقطة . ويمكن استخدام الجهاز أيضاً كمسجل عادي للاستماع أو التسجيل بواسطة لاقط الصوت المثبت بالجهاز Built-in Microphone وقد أثبتت التجربة والمعاينة أن أفضل هذه الأجهزة نوع Sharp QT 77 الذي يتحلى بميزات أخرى بالإضافة إلى المواصفات التي ذكرناها . وهو صغير الحجم جيد الأداء لا تتجاوز قيمته أربعمائة وخمسين ريالاً .

وسوف تحفظ أصول الأشرطة والنسخ في خزانات خشبية داخل غرفة محكمة درجة حرارتها متوسطة وثابتة لأن الحرارة العالية أو تفاوت درجة الحرارة يتسبب في

تلف الأشرطة . وسوف ترقم الأشرطة وتصنف حسب الرواة والقبائل والمناطق فتضم أشرطة الراوي الواحد إلى بعضها الآخر في رزمة واحدة لتأخذ أرقاماً متسلسلة ، كما تضم أشرطة الرواة من القبيلة الواحدة أو المنطقة الواحدة إلى بعضها الآخر بحيث يتلو بعضها بعضاً في الترقيم ، وهكذا . ويكتب على كل شريط رقمه واسم الإخباري ومكان التسجيل وتاريخه ، كما تكتب المعلومات نفسها على الجانب الخلفي من العلبة التي يحفظ فيها الشريط . وتنضد الأشرطة في حاملات من نوع Trirack سعة الواحدة منها عشرون شريطاً . وهذه الحاملات مصممة بطريقة تسهل نضد الأشرطة فيها وإلقاء النظر عليها بسرعة وقراءة المعلومات المكتوبة على الجانب الخلفي من علبة الشريط . والخزانات التي تحفظ فيها الأشرطة كل منها مجهز بأربعة رفوف يتسع الرف الواحد منها لسبع من حاملات Trirack ، أي أن كل خزانة تتسع لثمان وعشرين حاملة ، أي خمسمائة وستين شريطاً ، ولكل خزانة باب زجاجي مزدوج يسهل فتحه ويسهل من خلاله قراءة المعلومات المكتوبة على الأشرطة .

وحالما تستخرج النسخ من الأصول تبدأ عملية الفهرسة . وتبدأ فهرسة كل شريط مع بداية الوجه الأول أو الوجه (A) . فيوضع الشريط المراد فهرسته في جهاز التسجيل على وجهه الأول وللتأكد من أن الفهرسة تبدأ مع بداية الشريط نضغط على مفتاح إعادة الالتفاف السريع reverse/rewind ثم نضغط على زر عداد جهاز التسجيل reset button ليبدأ عداد الجهاز digital Tape Counter في العد من الصفر . وبعد الانتهاء من فهرسة الوجه الأول نوقف الجهاز ونخرج الشريط لقلبه على الوجه الثاني ثم نعيد الخطوات السابقة نفسها .

ونستخدم للفهرسة أوراقاً ذات الحجم ٨,٥×١٤ بوصة حتى نستطيع فهرسة الشريط بكامله في أقل عدد ممكن من الأوراق ونكتب في أعلى الصفحة رقم الشريط ووجهه (الوجه الأول أو الوجه الثاني) واسم الراوية ومكان التسجيل وتاريخه ، يلي ذلك عناوين القصص ومطلع القصائد مرتبة حسب تسلسلها على الشريط . ونكتب في هامش الصفحة على اليمين من عنوان القصة أو مطلع القصيدة الرقم الذي يظهر على عداد جهاز التسجيل مع بداية القصة أو القصيدة . والقصد من ذلك تسهيل مهمة البحث عن هذه القصص والقصائد والرجوع إليها فيما بعد . ولكن يجدر التنبه إلى أن الاستدلال على المادة المطلوبة في الشريط بواسطة أرقام عداد جهاز التسجيل مسألة تقريبية حيث إن هناك تفاوتاً في سرعة انعداد بين الالتفاف العادي play والالتفاف السريع rewind أو fast forward . كما تختلف سرعة العداد باختلاف

ماركة الجهاز ، لذا يستحسن أن يـوضح في الفهـرست نوع الجهـاز المستخدم في الفهرسة . وعن يسار مطلع القصيدة نكتب اسم قائلها وعدد أبياتها حتى نستطيع فيما بعد بمجرد نظرة سريعة إلى الفهرس أن نحصر مالدينا من قصائد للشاعر الواحد ونعرف مدى التفاوت في عدد الأبيات بين الروايات المختلفـة للقصيدة نفسهـا ، وكذلك اختلاف الرواة في نسبة القصيدة الواحدة إلى أكثر من شاعر .

وقد تستغرق فهرسة الشريط الذي مدته ساعة ونصف عدة ساعات لأنه لابد من الإنصات جيداً إلى الشريط بكامله وتعداد أبيات كل قصيدة بيتاً بيتاً واستيعاب مضمون كل قصة لاختيار العنوان أو الموجز المناسب لها ثم إيقاف جهاز التسجيل من حين لآخر (يستحسن استخدام مفتاح التوقف المؤقت Pause) من أجل إثبات هذه المعلومات في الفهرس[٣٨] .

وبعد الانتهاء من فهرسة الأشرطة تودع في الأرشيف ولايسمح بالاستماع لها إلا لذوي الاختصاص من الأكاديميين الذين يرغبون الاستفادة من المادة المسجلة عليها في دراساتهم اللغوية والأدبية والتاريخية والاجتماعية . ويؤخذ تعهد خطي على كل من يريد استخدامها بأنه لن يعمل منها نسخاً أخرى ولن يستغلها استغلالاً تجارياً ولن يستخدم مادتها أو يعممها بأي شكل يسيء إلى الجامع أو إلى الرواة والإخباريين أو إلى الأشخاص أو الجماعات الذين يرد ذكرهم في هذه الأشرطة .

ولابد من اتخاذ هذه الإجراءات الاحتياطية للحفاظ على حق الجامع ولأن المادة المسجلة قابلة للاستغلال التجاري وذلك بتفريغهـا وطبعها في دواوين وبيعهـا في الأسواق . ثم إن المادة المسجلة ذات حسـاسية مفـرطة من النـاحية الاجتمـاعية والسياسية والقبلية لأنها تتناول أحداثاً تاريخية سبقت توحيد المملكة العربية السعودية حينما كانت الفوضى السياسية والنزاعات القبلية تعم المنطقة . وحفاظاً على مصلحة الرواة ولطمأنتهم كي يدلوا بما عندهم من أخبار وأشعار فلقد تعهد لهم الجامع بأن المادة المسجلة سوف تستخدم للأغراض الأكاديمية الصرفـة فقط ، وأنها لن تنشر للناس وتعمم ولن تستغل استغلالاً يسيء إليهم أو إلى الأشخاص أو المجموعات الذين يتحدثون عنهم .

وعلى كل ، فإن استغلال المادة التي تجمع من أفواه الناس عن طريق العمل الميداني بأي شكل يسيء إلى الإخباريين والرواة الذين جادوا بهذه المادة ـ هذا من شأنه أن يحطم جسور الثقة والتعاون والتفاهم التي يحاول الباحثون الميـدانيون أن يشيدوها بينهم وبين عامة الناس على اختلاف مشاربهم التي هي من ضروريـات العمل الميداني .